ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة

ذكر ولاية بكجور دمشق

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان، فلما وليها عمرها، وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد، مدّة تحكم قسّام عليها، وانتقل أهله إلى أعمال حمص، فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها، ووقع الغلاء والقحط بدمشق، فحمل بكجور الأقوات من حمص إليه، وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها.

وكتب إلى العزيز بالله بمصر وتقرب إليها، فوعده ولاية دمشق، فبقي كذلك إلى هذه السنة، ووقعت وحشة بين سعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان ـ صاحب حلب ـ وبين بكجور، فأرسل سعد الدولة يأمره بأن يفارق بلده، فأرسل بكجور إلى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من إمارة دمشق، وكان الوزير بن كلس يمنع العزيز من ولايته إلى هذه الغاية.

ج٧/١١٢/ط

وكان القائد بلتكين قد ولي دمشق بعد قسّام كما ذكرناه ـ وهو مقيم/ بها ـ فاجتمع المغاربة بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله، فدعته الضرورة إلى أن يستحضر بلتكين من دمشق، فأمره العزيز بإحضاره وتسليم دمشق إلى بكجور، فقال: إن بكجور إن وليها، عصا فيها. فلم يصغ إلى قوله، وأرسل إلى بلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق إلى بكجور، ففعل ذلك ودخلها في رجب من هذه السنة والياً عليها، فأساء السيرة إلى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به، حتى أنه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك في أهل البلد، وظلم الناس، وكان لا يخلو من أخذ مال، وقتل، وصلب، وعقوبة، فبقي كذلك إلى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة[1]، وسنذكر هناك عزله إن شاء الله تعالى.

---

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢، ١٢٣)، وذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٨).

ذكر وفاة عضد الدولة

في هذه السنة، في شوّال، اشتدت علة عضد الدولة، وهو ما كان يعتاده من الصَّرع فضعفت قوته عن دفعه، فخنقه فمات منه ثامن شوّال ببغداد، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فدفن به.

وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفاً. ولما توفي، جلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار للعزاء، فأتاه الطائع لله معزياً، وكان عمر عضد الدولة سبعاً وأربعين سنة، وكان قد سيّر ولده شرف الدولة أبا الفوارس إلى كرمان مالكاً لها قبل أن يشتد مرضه، وقيل: إنه لما احتضر، لم ينطلق لسانه إلا بتلاوة: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[1]، وكان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أماكن الحزم، ناظراً في عواقب الأمور.

قيل: لما مات عضد الدولة، بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء، فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الإسكندر، وقد ذكرتها في أخباره، فقال بعضهم: لو قلتم أنتم مثلها، لكان ذلك يؤثر عنكم.

فقال أحدهم: لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها، وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الربح فيها، فخسر روحه فيها.

وقال الثاني: من استيقظ للدنيا فهذا نومه، ومن حلم فيها فهذا انتباهه.

وقال الثالث: ما رأيت عاقلاً في عقله، ولا غافلاً في غفلته مثله، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرم، ويغرم وهو يظن أنه غانم.

وقال الرابع: من جد للدنيا هزلت به، ومن هزل راغباً عنها جدت له.

وقال الخامس: ترك هذا الدنيا شاغرة، ورحل عنها بلا زادٍ ولا راحلة.

وقال السادس: إنَّ ماء أطفأ هذه النار لعظيم، وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.

---

(١) سورة: الحاقة، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

وقال السابع: إنما سلبك من قدر عليك. وقال الثامن: أما أنه لو كان معتبراً في حياته، لما صار عبرة في مماته.

وقال التاسع: الصاعد في درجات الدنيا إلى استفال، والنازل في دركاتها إلى تعالٍ.

وقال العاشر: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك، وهلا اتخذت دونه جنة تقيك، إن في ذلك لعبرة/ للمعتبرين، وإنك لآية للمستبصرين. ج٧/١١٣/ط

وبنى على مدينة النبي ﷺ سوراً، وله شعر حسن، فمن شعره لما أرسل إليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر من مساعدته بختيار ويطلب الأمان، فقال عضد الدولة:

أأفاقَ حينَ وطئتُ ضَيْقَ خناقِه ... يبغي الأمانَ وكان يبغي صارِمَا
فلأركبنَّ عزيمةً عَضُديّةً ... تاجيّةً تَدَعُ الأُنوفَ رواغِمَا

وقال أبياتاً منها بيت لم يفلح بعده وهي هذه:

لَيْسَ شُرْبُ الكَأسِ إلا في المَطَرِ ... وغناء من جوار في السحر
غانياتٌ ساليباتٌ للنُّهي ... ناغماتٌ في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر[1]

وهذا البيت هو المشار إليه، وحكي عنه أنه كان في قصره جماعة من الغلمان يحمل إليهم مشاهراتهم من الخزانة، فأمر أبا نصر خواشاذه أن يتقدم إلى الخازن بأن يسلم جامكية الغلمان إلى نقيبهم، في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام، قال أبو نصر: فأنسيت ذلك أربعة أيام، فسألني عضد الدولة عن ذلك، فقلت: أنسيته، فأغلظ لي فقلت: أمس استهل الشهر، والساعة نحمل المال، وما ههنا ما يوجب شغل القلب.

فقال: المصيبة بما لا تعلمه من الغلط أكثر منها في التفريط، ألا تعلم أنا إذا أطلقنا لهم مالهم قبل محله، كان الفضل لنا عليهم، فإذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر، حضروا عند عارضهم وطالبوه، فيعدهم فيحضرونه في اليوم الثاني، فيعدهم ثم

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٥)، وذكره أيضاً في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٩٥).

يحضرونه في اليوم الثالث، ويبسطون ألسنتهم، فتضيع المنة وتحصل الجرأة، ونكون إلى الخسارة أقرب منا إلى الربح.

وكان لا يعول في الأمور إلا على الكفاءة، ولا يجعل للشفاعات طريقاً إلى معارضة من ليس من جنس الشافع، ولا فيما يتعلق به.

حكي عنه أن مقدم جيشه أسفار بن كردويه شفع في بعض أبناء العدول، ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله، فقال: ليس هذا من أشغالك، إنما الذي يتعلق بك، الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم، وأما الشهادة وقبولها، فهي إلى القاضي، وليس لنا ولا لك الكلام فيه، ومتى عرف القضاة من إنسان ما يجوز معه قبول شهادته، فعلوا ذلك بغير شفاعة.

وكان يخرج في ابتداء كل سنة شيئاً كثيراً من الأموال للصدقة والبرّ في سائر بلاده، ويأمر بتسليم ذلك إلى القضاة ووجوه الناس ليصرفوه إلى مستحقيه، وكان يوصل إلى العمال المتعطلين ما يقوم بهم، ويحاسبهم به إذا عملوا، وكان محباً للعلوم وأهلها، مقرباً لهم، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم ويعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد، وصنفوا له الكتب، ومنها: الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ، إلى غير ذلك.

ج٧/١١٤/ط وعمل المصالح في سائر البلاد/ كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة، إلا أنه أحدث في آخر أيامه رسوماً جائرة في المساحة والضرائب، على بيع الدواب وغيرها من الأمتعة، وزاد على ما تقدم، ومنع من عمل الثلج والقز، وجعلهما متجراً للخاص، وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق.

ولما توفي عضد الدولة، قبض على نائبه أبي الريّان من الغد، فأخذ من كمه رقعة فيها:

أيا واثقاً بالدهر عند انصرافه ... رويدك إني بالزمان أخو خبر
ويا شامتاً مهلاً فكم ذي شماتة ... تكون له العقبى بقاصمة الظّهر[1]

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٥)، وذكره أيضاً في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٩٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢، ١٢٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٣٦٢).

ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك أخيه شرف الدولة بلاد فارس

لما توفي عضد الدولة، اجتمع القواد والأمراء على ولده أبي كاليجار المرزبان، فبايعوه وولوه الإمارة، ولقبوه صمصام الدولة، فلما ولي خلع على أخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروز شاه، وأقطعهما فارس، وأمرهما بالجد في السير، ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل إلى شيراز.

فلما وصلا إلى أرجان، أتاهما خبر وصول شرف الدولة إلى شيراز، فعادا إلى الأهواز، وكان شرف الدولة بكرمان، فلما بلغه خبر وفاة أبيه، سار مجداً إلى فارس، فملكها وقبض على نصر بن هارون النصراني وزير أبيه وقتله؛ لأنه كان يسيء صحبته أيام أبيه، وأصلح أمر البلاد، وأطلق الشريف أبا الحسين محمد بن عمر العلوي، والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي، والقاضي أبا محمد بن معروف، وأبا نصر خواشاذه، وكان عضد الدولة حبسهم، وأظهر مشاقة أخيه صمصام الدولة، وقطع خطبته وخطب لنفسه، وتلقب بتاج الدولة، وفرق الأموال، وجمع الرجال، وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين، فبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قبض عليه شرف الدولة على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة، سير إليه جيشاً، واستعمل عليهم الأمير أبا الحسن بن دبعش، حاجب عضد الدولة، فجهز تاج الدولة عسكراً واستعمل عليهم الأمير أبا الأعز دبيس بن عفيف الأسدي، فالتقيا بظاهر قرقوب واقتتلوا، فانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر دبعش، فاستولى حينئذٍ أبو الحسين بن عضد الدولة على الأهواز، وأخذ ما فيها، وفي رامهرمز، وطمع في الملك، وكانت الوقعة في ربيع الأوّل سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة[1]/ ج٧/ ١١٥/ط.

ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين

في هذه السنة قتل الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة، قتله أخوه أبو الفرج واستولى على البطيحة، وكان سبب قتله: أنه حسده على ولايته ومحبة الناس له،

(١) ذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٩)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٤٩٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢، ١٢٣)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٤٨).

فاتفق أن أختاً لهما مرضت، فقال أبو الفرج لأخيه الحسين: إن أختنا مشفية، فلو عدتها. ففعل وسار إليها، ورتب أبو الفرج في الدار نفراً يساعدونه على قتله، فلما دخل الحسين الدار، تخلف عنه أصحابه، ودخل أبو الفرج معه وبيده سيفه، فلما خلى به قتله، ووقعت الصيحة، فصعد إلى السطح وأعلم العسكر بقتله، ووعدهم الإحسان فسكتوا، وبذل لهم المال فأقروه في الأمر، وكتب إلى بغداد يظهر الطاعة ويطلب تقليده الولاية، وكان متهوراً جاهلاً[١].

ذكر عود ابن سيمجور إلى خراسان

لما عزل أبو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان ووليها أبو العباس، سار بن سيمجور إلى سجستان فأقام بها، فلما انهزم أبو العباس عن جرجان، على ما ذكرناه، ورأى الفتنة قد رفعت رأسها، سار عن سجستان نحو خراسان، وأقام بقهستان، فلما سار أبو العباس إلى بخارى وخلت منه خراسان، كاتب ابن سيمجور فائقاً، يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان، فأجابه إلى ذلك واجتمعا بنيسابور، واستوليا على تلك النواحي.

وبلغ الخبر إلى أبي العباس، فسار عن بخارى في جمع كثير إلى مرو، وترددت الرسل بينهم، فاصطلحوا على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لأبي العباس، وتكون بلخ لفائق، وتكون هراة لأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور، وتفرّقوا على ذلك، وقصد كل واحد منهم ولايته[٢].

ذكر عدة حوادث

الوفيات

في هذه السنة توفي نقيب النقباء أبو تمام الزينبي، وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن.

وتوفي محمد بن جعفر المعروف بزوج الحرة، في صفر ببغداد.

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٤٥٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٣).

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٣).

وتوفي في جمادى الأولى منصور بن أحمد بن هارون، الزاهد، وهو ابن خمس
ج٧ / ١١٦/ط وستين سنة[١]/ .

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٦٣).

obeikandl.com